في نقد نظرية المكافئ الديناميكي ليوجين نيدا، ومدى فعاليتها على النص الفكري

محمد دبوز شيخ
جامعة الجزائر2
- الجزائر-
mohtranslat47@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2018/06/19 **تاريخ المراجعة:** 2018/07/07 **تاريخ النشر:** 2018/12/31

ملخص البحث:

يتناول هذا المقال نظرية المكافئ الديناميكي للمنظر والمترجم يوجين نيدا Eugene A. NIDA بالنقد والتحليل والتمحيص، في مستويين اثنين، أولا مستوى الخلفية المذهبية العقدية وتحيزاتها الفكرية الفلسفية، وآثارها على ترجمة الأناجيل، فنشير إلى أن النظريات العلمية عموما وهذه النظرية خصوصا، ليست خاوية خالية من توجهات منظريها، بل تحدد هذه الخلفية صبغتها الكلية ومسارها التطبيقي وهيكلها النظري في تناسق عجيب، فأسس البناء هي من تحدد شكله الخارجي. ثم نعرج على أثارها في ترجمة الأناجيل. وثانيا، تحاول الدراسة بعد تحديد المفاهيم الأساسية للفكر والمفكر والنص الفكري، أن تتخذ موقفا فلسفيا واعيا من هذه النظرية بعد تتبع تحيزاتها وتحليل أجزائها، ثم تسعى إلى إسقاط الهيكل النظري للمكافئ الديناميكي على النص الفكري فتبين مواضع الاتفاق والاختلاف، وتربط العلاقة بين أجزاء الهيكلين، ومن ثم تخرج بحكم نظري على مدى نجاح تطبيقها على هذا النوع من النصوص.

الكلمات المفتاحية: نظرية المكافئ الديناميكي ليوجين نيدا، ترجمة النص الفكري، المفكر، الفكر، الخلفية الفكرية المذهبية.

In the criticism of the dynamic equivalent theory of Eugene Nida, and their effectiveness on the intellectual text

Abstract:

Admitting that a scientific theory is unescapably rotted in the intellectual, ideological and doctrinal back ground of its author, this paper aims, on first hand, at shading light on the intellectual origins of the Dynamic equivalence theory by Eugene A. NIDA, studying its impact on the translation of the Bible. Than secondly, it tries to

identify the main concepts of the "Intellectual field" as a scope of knowledge, such as the intellect author, the intellectual text and mainly the borders of this field. And then it endeavors to examine the extent to which the dynamic equivalence theoretical frame can be successfully applied on the mechanisms of the intellectual text.

Keywords: The theory of Dynamic equivalence by Eugene A. NIDA, Translation of the intellectual text, The intellect, The intellectual field as a scope of knowledge, Doctrinal and intellectual back ground.

مقدمة:

أحدثت النظريات الوظيفية إبان عقدي الستينات والسبعينات من القرن الماضي رجة في ميدان الدراسات الترجمية. وكانت نظرية المكافئ الديناميكي ليوجين نيدا Eugene A. NIDA من بين تلك الدراسات المفعمة بالإبداع، وتميزت عنها بالاتجاه الجديد في تعاملها مع الفعل الترجمي. فقد جذبت الانتباه للقارئ بدلا من النص، وقالت بأن هدف الترجمة الأسمى هو حينما يتكافؤ فهم قارئ النص المترجم مع فهم قارئ النص الأصلي، وإلا فسيحيق بالترجمة الفشل وسيكون مآلها خسرانا. وتميز الهيكل النظري لنيدا بالإبداع والتماسك مقارنة مع النظريات الوظيفية الأخرى. كيف لا وهي تنبع من عمق الممارسة الترجمية العريقة لعهود من الزمن في ترجمة الكتاب المقدس. إلا أن النظريات العلمية لم تكن أبدا لتسلم من تحيزات صاحبها الفكرية[1]، ومن توجهاته العقدية والأيديولوجية، ولم تكن نظرية المكافئ الديناميكي لنيدا عن ذلك في مأمن.

فكان من دارسي اللاهوت ومن دعاة التحرر من سلطة الكنيسة من رحب بالإنجاز العلمي لنيدا وللدور الذي أدته نظريته في تحرير الترجمات وتخفيف القيود على المترجم، و هللوا لميلاد ترجمات عديدة لنسخ الإنجيل، بمستوى منقطع النظير، بلغات الأقليات حول العالم. إلا أن أصواتا أخرى مجت الآذان برفضها للمنحى الذي أخذته ترجمة الأناجيل، وتنبأت بما سيحيق بها من تغير وبعد عن النسخة الأصلية، وما سيلحق الكنيسة من نفور العُبّاد، فنيدا يدعو إلى ترجمة تحرر عوام الناس من قيد ارتياد الكنائس لفهم كتاب ربهم، وروج لترجمة عصرية بسيطة يفهمها بسطاء الناس دون الحاجة لتفسير مفسر. وأصبح السؤال عن سبب هذا الرفض أمرا واقعا. أو ليست هذه نظرية علمية تُؤطر للعمل الترجمي

للأناجيل بعد أن تواترت الإشكالات الترجمية وتراكمت؟ ألم تعالج هذه النظرية إشكال الإفهام ونقل المستويات البلاغية المختلفة للنص الإنجيلي، فهو ليس نصا سرديا محضا، بل يعج بالأمر والنهي وفنون الخطاب؟ وإذا كان المنهج النظري للمكافئ الديناميكي يلتقي مع منهج الفكر وهيكله، ويتقاطع معه في نقطة إحداث الأثر، فإلى أي مدى يمكن لهذه النظرية أن تتطابق مع معطيات النص الفكري وترجمته؟ وتبين بعد تمحيص للأطر الفلسفية والعقدية والمذهبية لهذه النظرية، تجذرها في أرض المذهبية والعقدية.

وسنحاول من خلال هذه الدراسة:

1- أن نبين التحيزات الفكرية والمذهبية التي تصبغ هذه النظرية، ونتَتَبع آثارها على عمل المترجم في الأناجيل ونبين رد الناقدين من علماء اللاهوت المسيحين لهذه النظرية.

2- أن نبين الأسس التي بنيت عليها هذه النظرية ونضرب لها أمثلة، ومن ثم ننقدها وفق ميزات النص الفكري والمفكر وقارئ النص الفكري.

3- أن نبين ممارسات المترجمين الناجمة من تطبيق هذه النظرية على الأناجيل. وأن نضرب أمثلة على أماكن الخلل.

4- أن نوضح العلاقات بين المترجم والمؤلف والقارئ والنص حسب تخطيط نيدا، ثم نسقطها على مجال الفكر والمفكر.

5- أن نوضح موضع الخلل في تطبيق المكافئ الديناميكي على النص الفكري.

وتبرز القيمة العلمية في هذه الدراسة في معالجتها لنظرية المكافئ الديناميكي من زاويتين:

- تارة تسلط الضوء على الخلفية الفكرية العقدية للنظريات العلمية عموما ولهذه النظرية خصوصا، مبينة بالأمثلة العديدة من أن صفة العلمية لا تسم هذه النظريات بالبراءة والحياد، بل لها تحيزات متجذرة، يجب تحديدها بحكمة والتعامل معها برصانة.

- ومرة في كونها تعالج النص الفكري والفكر والمفكر، علما أن هذا الموضوع نادرا ما تُناول بالبحث. ولقد آلت الدراسة على نفسها أن تحدد حدود هذه المفاهيم التي

غالبا ما يحفها اللبس ويكتنفها الغموض، ثم تسطر هيكل العلاقات بين المفكر ونصه وقارئه حتى تتمكن من تحديد دور المترجم من بعد ذلك في تعامله مع هذا النص. ومن ثم تحاول أن تسقط الهيكل النظري للمكافئ الديناميكي لنيدا على الهيكل النظري للنص الفكري فتخرج من بعد ذلك بنتائج نوردها في هذا البحث.

وكان المنهج الوصفي التحليلي المقارن هو المسار الذي انتهجته الدراسة في معالجتها لهذا الموضوع. ونشير بأننا انتهجنا في الكتابة الأسلوب النماذجي، الذي ينبني على تشكيل الصور الإدراكية، ويعمل المجاز لقدرته التعبيرية، ونلتزم بمبدئ التفسيرية في الدباجة الأكاديمية كمفهوم طوره المسيري في كتاباته، بديلا عن الموضوعية والذاتية. ونشير إلى أن الترجمات الواردة في الدراسة من وضع الباحث.

وسننطلق أولا كما أسلفنا بتحديد المفاهيم الأساسية للعناصر الفاعلة في مجال الفكر، من فكر ومفكر و تفكير ونص فكري، نبدأها بتعريف الفكر لغة:

1.1. الفكر لغة:

في المعجم الوسيط: " الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الخاطر في الشيء؛ قال سيبويه: ولايجمع الفِكْرُ ولا العِلْمُ ولا النظرُ، والتفكر " التأمُل" (ابن المنظور، لسان العرب، ص64).

1.2 . أما اصطلاحا:

فهو لدى الأستاذ محمد بابا عمي: "فصل الأشياء، ومحنة الفصل"، أي أنه "قلق العلاقة" عند هيغل (بابا عمي م، 2011) وبمعنى آخر هو العلاقة، وهو الوصل والفصل؛ والتخصصات جميعا هي "الموضوع" ما لم تلج إلى مساحة التنقل والانتقال (عبر)، وإلى عملية اكتشاف العلاقات...[2]وهي "ترتيب أمُورٌ معلومة لتؤدِي إلى مجهول" (المناوي، 563،1990) وهي عند الأستاذ عبد الكريم بكار: "عبارة عن مفاهيم ورؤى ومنهجيات يمتلكها ويبدعها المفكر .. ويجعل منها وحدة متماسكة وهو من خلال تلك الوحدة يرى العالم، وليس للفكر موضوع وما المفكر بم تخصص في علم من العلوم (عبد الكريم بكار، 2012).

وهو عند الأستاذ عبد الرزاق قسوم : " الفكر جماع الإنتاج الذي يفرزه مجتمع بذاته في مدة زمنية معينة" (1997، 16). و"هو لون من الإنتاج العقلي تطبعه خصوصية فلسفية معينة، يصنعها النموذج الاجتماعي والتكوين الثقافي، هذه الخصوصية يستوحي العقل منها أهم مقوماته في تعامله مع الوجود والموجود ومع الطبيعة وما وراء الطبيعة، ومن هنا يكون للخصوصية المحلية دور هام في صياغة التأمل الفكري والفلسفي معا) (م س، 09). وهو "إعمال النظر في الشيء، و أنه طرح أفكارا من خلال التفكر في الأمور، وهو التأمل الذي يعتمد على التفكير " لدى الأستاذ صدقي الدجاني (بسمة الدجاني، 2011، 05).

يشير هذا التنوع في المفاهيم وفي تنوعها إلى تشتت المفهوم وضبابيته.. تماما مثلما أشار إليه الأستاذ عبد الرزاق قسوم بقوله " إنَّ الفكر الإسلاميَّ العربيَّ يعاني من أزمة المنهج، وفي المفهوم، والمحتوى.. ويعكس هذا طغيان الضبابية في المفاهيم السّائدة.." (عبد الرزاق قسوم، 16،1997) إلا أن الجامع بين هذه التعريفات كلها، أنّها تتضمّن مفهوم العلاقات بأشكالها السالفة الذكر وصلا وفصلا، وهو التعريف الأول للأستاذ بابا عمي: "فصل الأشياء، ومحنة الفصل"، أي أنه "قلق العلاقة" عند هيغل. غير أن هذا الفصل والوصل في العلاقات بين الأشياء يتجاوز تحليل الإنسان العادي وتفكيره إلى مستوى يفكك فيه المفكر تلك العلاقات ويركبها ضمن أطر تحليلية منهجية وبوسائل معرفية ابستيمولوجية وبفكر نقدي منضبط، يحدوه في كل ذلك هم وقلق معرفي مرهق.. وذلك هو الفاصل بين تفكير الإنسان العامي المتأمل وتفكير المفكر الناقد..

التعريف التوفيقي للمفكر:

المفكر: دارس باحث بلغ مرحلة معرفية موسوعية تتسم **بالشمولية** في كشف ودراسة ظواهر العلاقات التي تربط الناسب أنفسهم وبمن حولهم وبخالقهم.. يدرسها دراسة **منهجية علمية**، في مرحلة زمنية محددة، وفق **خطو نسق منهجي**، يحدوه في ذلك **قلق معرفي**، مرده **سؤال أزمة**[3] يستعر داخله استعارا، ويصلب دراسته إلى نتائج لا تتعارض مع مقدماتها ولا مع بعضها البعض عبر مسار الزمن، وتجعله يتميز عن غيره من الدارسين.

النص الفكري:

هو النص الذي يتناول الفكر مادة له، يبنيه المفكر وفق نسقه الفكري فيكون جزءا منه، ويبثه أزمته الفكرية وقلقه المعرفي، بلغة ليست مثل لغة النص الفلسفي المنضبطة المترفعة المرهقة، ولا مثل لغة الأدب التي تثير التخيلات وتداعب اللذة، بل هي لغة تنبض بالحياة، تنزل إلى الشارع لتعانق قلوب أولي الألباب، فتزيَّنُ في قلوبهم، وتنفض الغبار عن عقولهم إن كانت متحجرة أو متكلِّسة، بل تنفث فيها الحياة، فتولد إذ ذاك الفعل والعمل وهو الغاية المثلى من هذا النوع من النصوص.

نظرية المكافئ الديناميكي في الترجمة: يوجين نيدا

في ماهية الترجمة:

يوجين نيدا من بين أولئك الذين يؤمنون بأن الترجمة تتجاوز الحدود العلمية الضيقة الخانقة، إلى رحابة الموهبة المصقولة والممارسة الفنية البديعة. ومرد قوله ذلك إلى طبيعة ممارسته الترجمية العريقة، فهو قبل أن يكون دارسا محيطا ومنظرا مهندسا دقيقا، هو متمرس فذ، بذل مهجته في ترجمة الكتاب المقدس، ومنه كان مُنطلقه إلى التنظير الترجمي وإليه كان المرجع.. ونحن لذلك ننطلق بالقول بأن نظريته في الترجمة تندرج في إطار تحيزات فكرية فلسفية، تنبع من إيمانه بطبيعة الكتاب المقدس، أصلا وفصلا.

أهمية الإحاطة بالاطار الفكري والفلسفي المولد للنظريات:

لِدى، حري على الدارس الترجمي قبل أن يعمل مسبار تشريحه في هذه النظرية، أو ذاك المترجم الذي يتخذ من تلك النظرية منارة ينسج على أنوارها خطته الترجمية فيحبك على منوالها نصه المترجم، أن يلم بهذه التحيزات الفكرية والفلسفية التي تشكل الصبغة الكلية لهذه النظرية، وأن يستشف دائما الإطار الفلسفي الخلفي الكامن لأي نظرية كانت قبل أن يبني تشخيصه ويُركِّب أحكامه، أو يسلم بصحة آلياتها وبسلامة اتخاذها منهجا لعمله الترجمي.

“Translations are not made in a vacuum. Translators function in a given culture at a given time. The way they understand themselves

and their culture is one of the factors that may influence the way in which they translate."

لا تنبع الترجمات من عدم، بل إن المترجمين يسبحون في خضم ثقافة ما في زمن معين. ومن العوامل الأكيدة التي تؤثر على طريقة ترجماتهم أيما أثر،فهمهم لأنفسهم ولثقافتهم " (LEFEVERE A, 1992,14)

وما المترجم عن هذه التحيزات الفكرية بمنأى، فهو أيضا يبني نصه وفق مسلمات وإدراك عميق جدا يحدد تعرجات فهمه وتضاريسه. لدى، إن لم يتمكن الدارس من الإحاطة بها، فعليه أن يسلم بوجودها.

الإطار الفكري والعقدي لنظرية الترجمة ليوجين نيدا، وبذور نشأتها:

يصرح يوجين نيدا في مقدمة كتابه النظرية والتطبيق في الترجمة The Theory and the practice of translation بأن الكتاب موجه أساسا لممارسي ترجمة الكتاب المقدس أو الإنجيل، ويقترح حلولا للإشكالات التي تواجه المترجم في هذا النوع من النصوص:

"In this volume the illustrative data are drawn primarily from the field of Bible translating. This reflects both the immediate concerns of those for whom the book has been specifically prepared and the background experience of the authors."

" تنبثق الأمثلة التوضيحية في هذا المؤلَف أساسا من مجال ترجمة الكتاب المقدس. ولذلك، تتحدد أولا الاهتمامات الأولية للفئة الموجه إليها هذا الكتاب خصوصا، وثانيا يتبدى جليا ميدان ممارسة المؤلف ومسار خبرته" (NIDA, 1982, Preface).

ويبدو المؤلف من الأسطر الأولى من الفصل الأول فرحا مسرورا بالمستوى غير المسبوق الذي بلغته الترجمات الإنجيلية في هذا العهد فقد بلغت اللغات المترجَم إليها ثمان مئة لغة أجنبية تمثل ثمانين بالمئة من تعداد سكان العالم، يقوم بها عددا مهولا من المترجمين يتجاوز ثلاثة آلاف مترجم في ذلك العهد. (م س، 1982).

غير أنه يتحسر عن ما يصفه بتخلف الدراسات الترجمية عن مواكبة هذا الخضم الهائل من الجهد المبذول في سبيل الفعل الترجمي. وأن التركيز العتيق حول

الشكل أضحى غير مجد (Marlowe, 2018)، فغَيَّر من سيرته وصب جم تركيزه على استجابة القارئ للنص المترجم مقارنة مع استجابة القارئ المستهدف بالنص الأصلي، وتحولت الإجابة عن السؤال في مدى صحة الترجمة إلى مدى فهم القارئ للنص المترجم مقارنة مع فهم عوام الناس للنص الأصلي. (NIDA, 1982,1).

ونظرا للإشكالات اللسانية العديدة التي يواجهها المترجم للكتاب المقدس حين يلتزم بالنمط القديم في الترجمة، سيما ترجمة السياقات المتشابكة للكتاب إلى اللهجات الأصلية للأقليات حول العالم، ونظرا للرغبة الإنجيلية التبشيرية الجامحة لبعض المدارس المسيحية في التحرر من قيد اللفظ العتيق للكتاب المقدس وتحريره بلغة مفهومة بسيطة، إمانا منهم ببساطة الإنجيل في لغته وأسلوبه، حواريته وحجاجه، وسائر مستوياته، واعتقادا منهم بأن لا سلطة لرجل الكنيسة على مضمون الإنجيل ولا حق له في احتكار معناه، يبدي ما يشاء ويخفي كثيرا.. ولا حاجة لعوام الناس أن تتعلق قلوبهم بارتياد الكنائس، ويُعَوِّدُوا أذانهم لفظها وأسلوبها الإنجيلي، حتى يتعودوا على غريب الإنجيل ومعقده، وتتمكن عقولهم من تقبل ما قد يبدو مناقضا للعقل بادئ الأمر.

ورغبة منهم في تحريره من قبضة الكنيسة[4] على الرغم من الاتجاهات المحافظة والمطالبة بإرجاع الكتاب إلى أكنافها، وباستحالة فهم العامي غير المتعود على الخُطب التفسيرية الكنسية على فهم الإنجيل، وأن من الرهبان من يقضي السِنُون الطوال في دراسة اللغات القديمة الآرامية والعبرية واليونانية وغيرها، ويقضون الأوقات في تدبر السياقات الاجتماعية والتاريخية والفلسفية لأجزاء الانجيل المختلفة، حتى يحيطوا بها علما، ويتدربوا على التعامل مع معانيه ومضامينه. فكيف يمكن للعامي أن يعي الإنجيل لتلاوة عابرة بسيطة، لنسخة مُحُيّنة مصطبغة بصبغة العصر وأهوائه تُفقد الانجيل كل صفاته القُدسية فلا يعدو أن يكون كتابا تاريخيا أو رواية من نسج الخيال.[5]

إنه يعتبر أنه من المؤسف أن بعضهم يعاني من اشكال المبالغة في طبيعة لغة الإنجيل، وأن لغة الكتاب المقدس لا تختلف عن لغة الإنسان في المعاناة والتخبط والرَّهق بين الدال والمدلول:

"The languages of the Bible are subject to the same limitations as any other natural language (7،م س)".

ويقول بأنه:

" يعتري لغات الإنجيل ما يعتري اللغات الطبيعية الأخرى من القصور"

وأن كُتاب الأناجيل بذلوا جهدهم في التعامل مع حالات تاريخية زمنية محددة وأنهم كانوا يعوذون بلغة أهل الزمن لمحاورتهم بها:

"The writers of the Bible were addressing themselves to concrete historical situations and were speaking to living people confronted with pressing issues. (7 ،م س)"

" لقد تعامل كتاب الإنجيل مع ما واجههم من ظروف تاريخية مادية، وكانوا يخاطبون بشرا في خضم الحياة تتقاذفهم قضاياها الآنية العاجلة "

وهو بذلك ينفي مقدرة الكتاب على مجاوزة أغلال الزمن، وقيود المكان، بل إن الإنجيل كان لزمن قديم غابر بادٍ، وهو في أمس الحاجة إلى جهد إنسان جهيد من مترجم وغيره ليخرج به من براثن تلك الحقب، فيخاطب عقول عوام الناس ويصافح شغاف قلوبهم وفق ما يرتضيه المترجم لا ما تسنه الكنيسة.

لدى كان لزاما على نيدا أن يُهندس لمقاربة نظرية، لغوية علمية في الترجمة تحقق مآربه وتستجيب لمعتقدات مدرسته الفكرية العقدية المتحررة، التي لها جذور في التاريخ الإنجيلي الكنسي، فكانت نظرية المكافئ الديناميكي في ترجمة الكتاب المقدس.

ونحن بتعاملنا مع هذه النظرية ننطلق من نقطة التفريق بين أمور ثلاث:

أولًا أننا نفرق بين الكتاب السماوي والكتاب الإنساني، بين لغة السماء ولغة الأرض، بين ترجمة لغة البشر ولغة الإنسان. إلا أننا سندرس فاعلية هذه النظرية تطبيقا على النصوص البشرية، ومنها النص الفكري نموذجا.

ثانيًا أننا لا نشارك صاحب النظرية معتقداته حول طبيعة الكتاب المقدس ولا نناقشه فيها، بل ننطلق من منطلقه بإمكانية تطبيق نظرية المكافئ الديناميكي على باق النصوص البشرية، علمية كانت أو أدبية.

ثالثًا أن هذه المقاربة النظرية تقترب في شكلها من هيكل هذه الدراسة النظري، بل هي الأقرب من بين كل النظريات الوظيفية الأخرى. إلا أنها تختلف أساسا في الخلفية الفكرية والفلسفية. وتختلف عنها في بعض المنتهيات، وأردنا بالفلسفية المفاهيم الأساسية البنائية التي قد يعتبرها البعض من المسلمات مثل طبيعة اللغة وطبيعة الكلمة ومعيار صدقها وإمكانية إيجاد الحقيقة في طياتها وغيرها من المفاهيم التي لم يتعمق فيها يوجين نيدا في نظريته هذه، لكننا نستشف هذه الاختلافات من خلال جسد النظرية، فإذا تغيرت الأساسات فستتغير الهندسة حتما وستتغير النتائج تبعا ومجال الخوض فيها دراسة فلسفية أخرى.

في طبيعة الترجمة:

"Translating consists in reproducing in the receptor language the closest natural equivalent of the source-language massage, first in terms of meaning and secondly in terms of style"

"يتمثل فعل الترجمة" لدى نيدا " في إعادة انتاج المكافئ الطبيعي الأقرب لرسالة لغة المصدر في اللغة الهدف، معنا واسلوبا"(NIDA, 1982, 09).

وهو يركز على إعادة الإنتاج أو إعادة صياغَةٍ للرسالة، ويعتبر كل محاولة تُرجمية تخرج عن هذا الأساس الأول خاطئة (م س،12) إنه بذلك يدرج نظريته في صف نظريات المكافئ في الترجمة، غير أنه يختلف عنهم بعض الشيء، ويخرج المترجم من دائرة النقل إلى دائرة أوسع وهي دائرة الصياغة وإعادة الصياغة وفق مبادئ يحددها، نذكر منها:

أولا إعادة انتاج الرسالة: Reproducing the message

"Translating must aim primarily at "reproducing the message." To do anything else is essentially false to one's task as a translator. But to reproduce the message one must make a good many grammatical and lexical adjustments."

تهدف الترجمة أساسا إلى "إعادة انتاج الرسالة"، بل ويعد مخطأ كل من يروم غير ذلك هدفا لمهمة المترجم. بيد أن هذه العملية تُسلَّم نفسها لمسبار التعديلات النحوية والصرفية و المعجمية العديدة" ..

إذا فمهمة المترجم الأولى والأخيرة في نظره تكمن في إعادة الكتابة أو إعادة الإنتاج والصياغة. متحررا بذلك من القيود الضابطة السالفة، التي تحصر مهمة المترجم في نقل المعنى وتغتم إن هو أخل بالشكل، بل ويكسر تلك المرآة الشفافة التي يعتبرها البعض مثالا لدور المترجم الذي ينقل بأمان وسلاسة منقطعة النظير ويغادر دون أن يترك أثرا على مروره، وهي الدليل على نجاح مهمته.

ولو أسقطنا ذلك على معطيات النص الفكري فسنلتقي معه في هذه النقطة تحديدا، فطبيعة مولدات النص الفكري تأبى أن تذعن لمترجم يتراوح بين المعنى والشكل، إن إلى هذا، أم إلى ذاك؟ وترى بأن المترجم يجب أن ينبع من الأرض نفسها التي نبع منها المؤلف المفكر. يتتبع نسقه الفكري في كتاباته كلها عبر مسار الزمن فيجدها شكلا هندسيا متناسقا مع ذاته ومع مخرجاته وإن كان يقبل التحيين والتعديل، فما ذلك إلا جهد وإدراك بشر، لكنه مستنير دائما من قبس ما، سماويا ربانيا، أو كونيا بشريا، فينغمس المترجم في ذلك النور أيضا، ينهل منه ويستنير، ويعرض نفسه للهيب الأزمة التي حركت الفكر أولا لدى المؤلف، فيكتوي بنارها، فيصيبه القلق المعرفي، بنفس ألوان هم المؤلف، فتتحرك إذ ذاك بذور الفعل، فتنبت وتكبر، وتورق وتثمر ثمرا يحمل جينات نسق المؤلف الأول. ولن يتمكن المترجم من رؤية ألوان الطيف في عمل المفكر ما لم يمر عبر هذا النفق ليخرج في عوالم المؤلف فيسبح في أفلاكه، وفي هذه الحال فقط يمكننا الحديث عن إعادة الصياغة. أما أن يكون المترجم مصابا بعمى الألوان، فهو لا يبصر غير أبيض اللفظ وأسود المعنى ثم يدعي إعادة الصياغة، بمزيج كيميائي غريب من عنصرين أبيض وأسود، فسينتج مزيجا غير متجانس لا يمت إلى الأصل بصلة، ولا يحمل ألوانه.

ثانيا المكافئ الطبيعي أولى من هوية النص الضيقة:

وقد يبدو هذا صحيحا من القراءة الأولى، وقد نتفق معه بعض الشيء إذا كنا بصدد ترجمة نص أدبي مثلا، فإذا كان المعنى ذي أهمية قصوى بحيث يضر نقله بهوية النص الأصلي، فالمعنى أولى بالنقل من الصبغة الثقافية في هذه الحالة، ولكن لا يعد هذا عذرا للتخلص من هوية النص كلية، وسيتضح بعد أن نورد المثل

الذي ضربه نيدا، كيف يمكن لمسلمات عقدية ولخلفيات فكرية مذهبية من أن تؤثر على قرارات المترجم أيما تأثير، الأمر الذي حملنا على توضيحه جيدا في بداية الدراسة.

"The translator must strive for equivalence rather than identity. In a sense this just another way of emphasizing the reproduction on the message rather than the conservation of the form of the utterance, but it reinforces the need for radical alteration of a phrase such as" it came to pass," which may be quite meaningless. In fact, it is often misunderstood. Since in Greek *egento*, "it happened," is often only a "transitional word" to mark the beginning of a new episode, it is sometimes best not reproduced."

"حري بالمترجم أن يَجِدَّ في إيجاد المكافئ بدلا من الهوية. وما هذا إلا تأكيدٌ على تأكيدٍ على أهمية إعادة صياغة النص بدلا من التمسك الأعمى بشكل الكلام، علما أن ذلك يبين الحاجة الماسة للقيام بتغيرات جوهرية لعبارات مثل " حدث وأن" والتي تبدو مفرغة من المعنى، بل يساؤ فهمها غالبا. فالعبارة الإغريقية " *egento"* والتي تعني "حدث وأن" غالبا ما تكون "عبارة انتقالية" أو جملة اعتراضية تفيد البدء في سورة جديدة. لدى يحبذ التخلي عنها أحيانا وعدم نقلها." (م س،13).

نعم، فلكي يجد المترجم المكافئ المناسب، يجب عليه يبذل فكره في إيجاد مكافئ لا يضر بالنصين معا، لا أن يقتطع أجزاء من جسد النص الأصلي، لكون عقول عامة الناس قاصرة على إدراكها. ونشير إلى أن ممارسة هذه القاعدة قاصر على أنواع من النصوص دون غيرها.

ونحن إذ نسقط هذه القاعدة على النص الفكري، فإننا نجد التنافر البارز بين الهيكلين، فالنص الفكري كما أسلفنا يندرج في نسق منهجي مع سائر نصوص المفكر عبر مسار الزمن. وترجمته لن تكون إلا في مسار هذا النسق المنهجي ولا تحيد عنه قيد أنملة. فإذا أعاد المترجم صياغة النص وفق مقتضيات اللغة الهدف، فهذه الصياغة تكون خادمة لمبادئ النص الأصلي ولتحيزاته، وتأن لأنينه المعرفي، وتأمل لبشارته، فهويته إذا متجذرة راسخة، ولا يمكن أن تُسقَط أبدا.

ثالثا المكافئ الطبيعي ثم المكافئ الأقرب:

ويقصد بالمكافئ الطبيعي، المكافئ الذي لا يجعل الترجمة تبدو أبدا وكأنها ترجمة، وتكون مندمجة وطبيعية في اللغة الهدف، ويَجِدُّ المترجم في إيجاد مكافئ يقترب من معنى الأصل ويكون في طبيعة وشكل الهدف. ومثال ذلك:

'For example, the Hebrew idiom "bowels of mercies" (Col. 3:12) cannot be literally rendered into English if one really wants to communicate the message of the source language, for though we have the words "bowls" and "mercy" in English. We simply do not employ this combination. A meaningful equivalent is "tender compassion," and it is precisely in this manner that many translations attempt to reproduce the significance of this source-language expression.'

"فمثلا التعبير العبري " أحشاء الرحمات" (بولس 3:12) لا يمكن ترجمتها ترجمة حرفية في اللغة الإنجليزية إذا ما أردنا أن ننقل المعنى في اللغة الأصل، علما أن كلتا الكلمتين أحشاء "Bowels" ورحمات "Mercies" متواجدة في اللغة الإنجليزية، إلا أننا لا نستعمل هذا التركيب. واقرب مكافئ ذي معنى "Compassion Tender" أي " الرحمة الجزيلة"، وبهذه الطريقة بالتحديد حاول العديد من المترجمين صياغة المعنى لهذه العبارة من لغة المصدر." (م س، 134)

رابعا الأولوية للمعنى:

وكما أشار من ذي قبل على أهمية المعنى في الترجمة، يشير هنا إلى أهميته القصوى في ترجمة الكتاب المقدس، ولا أوضح من المثل الذي أورده على تبين هذه القاعدة:

"This means that certain radical departures from the formal structure are not only legitimate but may even be highly desirable. For example the NEB has rendered John 1:1b as "what God was, the word was." This seems very different from the traditional "the Word was God," but it is an entirely legitimate translation..."

" وهذا يعني أن بعض التغييرات الجذرية للبنية التركيبية السابقة شرعي، بل مَرجُوٌّ ومحبذ أيضا. فنسخة الإنجيل الإنجليزي الجديد NEB مثلا، نقلت الآية" 1:1ب يوحنا" كالآتي: " كل ما كان الله، كانت كلمة الله" وتبدو هذه العبارة مختلفة جدا من النقل القديم "كانت الكلمة الله" ولكنها ترجمة شرعية كلية.." (م س، 13).

وأرادوا من هذا التركيب درء الخلل بين هذه العبارة وبين المعتقدات التثليثية التي يُرَوّجون لها، وبينها وبين الآيات الأخرى في الكتاب، فجعلوا الله وكلمة الله وجودا واحدا ليقولو بأن الله وابن الله هم شيء واحد وإن اختلفا.. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وبدل أن يرجعوا إلى الأصل الأول الأرامي والعبري فيصححوا نقلهم، قاموا بالتعديل والتحوير ولف أعناق الآيات هروبا إلى الأمام، حتى لا تناقض أهوائهم ويعم الاتفاق والوفاق، علما أن في المسيحية من المذاهب من يرفض هذا الطرح الشركي ويتشبث بالكتاب الأول وبالإله الواحد.

ويبدو جليا كيف يشجع هذا الاتجاه الفكري الترجمي الموسوم بالعلمية نبذ كل ما لا يعجبهم مما قد يعتبر جزءًا من هوية النص الأصلي بل حتى ما لا يروق لهم من جسده الفزيائي فيجرون عليه مسبار التشريح متخذين من ميولهم النفسية، ورغباتهم الشخصية، وأهدافهم البعيدة، حَكَما مطلقا على فهمهم للكتاب المقدس وتحليل ما بين دفيته من الآيات.

وكما أسلفنا فإن مترجم الفكر وفي له (الفكر)، يتسم بالرصانة التي يكتسبها كلما زاد في الغوص عمقا وزاد لدُرره إدراكا، فتجده يتحرر من ثنائية المعنى والشكل العقيمة في الترجمة، التي لا تفصح إلا عن سطحية المترجم في تعامله مع النص، وبدلا من ذلك تجده يزداد رشدا ووعيا ومسؤولية بحجم مسؤولية الكاتب، فيغدو حينها مؤلفا حرا، وحاشاه أن يُسقِط ضلعا من هيكل المفكر لميل أو نزوة بأي دعوى كانت.

خامسا: لكل لغة ذكاؤها وخصائصها:

فليس هنالك من تطابق شكلي فوتوغرافي مطلق بين اللغات أبدا.

"We certainly cannot expect a perfect match between languages"

"لا يمكننا أن نتوقع أبدا تطابقا مثاليا بين اللغات" (م س، 05).

ويضرب لذلك مثالا بين الكلمات، فكلمة "Logos" اليونانية لا يماثلها أبدا كلمة "Word" الإنجليزية لما للكلمة اليونانية من شحنة دلالية فياضة وثراء معنوي لا تحصرها هذه اللفظة الإنجليزية أو أي لفظة إنجليزية أخرى.. (م س، 05).

وفي طبيعة اللغات الأصلية للأناجيل:

فهو يرى بأن لغة الكتب المقدسة لا تعدو أن تكون مثل لغات البشر جميعا، تحمل من الأورام في جسدها ما تحمله اللغات الأخرى. وهنا نشير مرة أخرى إلى البناء الفلسفي الخلفي لنظريته، فيبدو جليا أن موقف نيدا من طبيعة اللغات كان سطحيا جدا، ونتساءل هنا، أكان موقفا واعيا أم هو توجه عقدي فكري، أم هي مسلمات لم يأل جهدا في بناء موقف فلسفي تجاهها، علما أن الفلسفة الغربية عالجت الأمر بشكل عميق، فهيغل و غادامير وغيرهم فصّلوا في طبيعة الكلمة وفي حقيقتها ونقلها للحقيقة تفصيلا.

إن كل القواعد والمواقف والإجراءات الترجمية التي خطها نيدا وسطرها للمترجمين من مدرسته متأثرة من موقفه هذا من طبيعة الكلام الإلهي ومن لغة الأناجيل. وهو الأمر الذي دفعنا أن نشير إليه في بداية الدراسة. وهو يقول في العبرية والآرامية ما يلي:

"on The contrary, Greek and Hebrew are just "languages"…They are neither the languages of heavens nor the speech of the Holy spirit"

"..ما العبرية ولا اليونانية إلا "لغتين"، وليستا لغتي السماء ولا خطاب الروح القدس.."(م س، 07).

وبما أن العبرية والإغريقية لغتين كسائر اللغات البشرية ويكتنفهما الهوان والغموض، فهنالك حوالي 700 تركيبي نحوي أو معجمي غامض في الأناجيل الإغريقية..

"In the Greek Gospels there are some 700 grammatical and lexical ambiguities...".(م س، 08) .

وأن الكتاب له معنى واحد لا معان متعددة..

"If we assume that the writers of the Bible expected to be understood we should also assume that they intended one meaning and not several,"

"إننا إذا سلمنا بأن كُتّاب الأناجيل كانوا يرجون تبليغ رسالتهم للناس وافهامهم ، يجب أن نعتقد إذا بأنهم عنوا لذلك معنى واحدا، لا معان عديدة" (م س، 08).

لذا فيجب التسليم بالمعنى الواحد الظاهر الجلي، الذي يمكن فهمه حالا، فليس على المترجم أن يعود إلى الأصل كما سنورد فيما بعد، ولا هو في حاجة في أن يتدرّج في اللاهوت ليعي الغامض من الكتاب أو أن يعود إلى المفسرين العالِمين، لا بل الأمر واضح أصلا، فكما أن كُتاب الأناجيل خاطبوا عوام الناس، فالعوام هم المخاطبون اليوم و ليسوا في حاجة أبدا للذهاب إلى الكنيسة للاستفسار عما أشكل فهمه ولا أن يُعَوّدوا آذانهم خطاب الكنيسة أو غيرها من الأمور، بل كل الأمر واضح وعلى المترجم أن يُسلِّم بهذا ليُنتج نصا واضحا مهما كلف الأمر.

وإذا كان لنصوص الإنجيل معنى واحدا واضحا فترجمته حتما ستكون هينة سهلة، وعلى المترجم أيضا أن يُحين اللغة التي وردت فيها الرسالة ليجعلها مناسبة للعهد الذي هو فيه. ونستخلص، إلى هنا، أربع نقاط في تعامل المترجمين مع الأناجيل:

1/نفي قدرة الإنجيل على تجاوز الزمان و المكان وهو موجه في لغته لعهد معين فقط لا غير.

2/لا يمكن أن تتعدد معاني صحف الأناجيل، بل لها معنى واحد وهو الذي يجب على المترجم أن يجد له مكافئه الطبيعي الديناميكي.

3/إن اللغات التي كتبت بها الأناجيل هي لغات طبيعية لا تنفرد ولا تتميز عن اللغات البشرية الأخرى ويصيبها ما يصيب اللغات الأخرى من السقم و الهوان.

4/بَشرٌ هم كتاب الأناجيل، ولهم جوانبهم النفسية والعقلية، و يجب أن يتعامل المترجم معهم على ذلك الأساس، مثلهم مثل أي كاتب أو مؤلف آخر.

في المكافئ الشكلي و المكافئ الديناميكي:

التماسك والاتساق السياقي أولى من التماسك اللفظي:

يرى نيدا بأن "لكل لغة ذكاؤها في تغطية خبراتها برموز تختارها" (م س، 20) مصورا بذلك المعاني على خرائط اللفظ بكيفية تختلف من لغة إلى أخرى، وأن اللغات تختلف في التعميم والتخصيص، فهذه تطلق لفظا واحدا على معان متعددة لم تر بدا من تحديدها بألفاظ متعددة، أو أن هذا اللفظ يفي بذلك الغرض ويحوي كل المعاني الأخرى، وأخرى تطلق ألفاظا عديدة على معنى قد يبدو

واحدا بادئ الأمر وهو ليس بذلك، فتحبذ إطلاق المسميات على ما تراه ذي أهمية بالغة ولا يجوز تعميمه، فقد يطلق العربي لفظ الكلب على كل فصائل الكلاب المتنوعة، لأنها لا تمثل بالنسبة له إلا نوعا واحدا من الحيوانات التي يشمئز لذكرها بعض الشيء. وأما الغرب باختلاف لغاتهم تجدهم يفضلون إطلاق المسميات لكل نوع من الكلاب بالتحديد، لما له من وزن في ثقافتهم لا يؤتاها حيوان آخر وهلم جرا.

ويقول بأن لكل "لغة طريقتها في الترميز للمعنى"(م س، 20)، بالكيفية التي تشاء وأن هنالك خريطة جغرافية للكلمات ليست متطابقة بين اللغات تعكسها خريطة إدراكية، وتختلف اللغات في تسطير هذه الحدود على حسب نظرتها للوجود " فهناك من يعتبر الخفاش من الطيور لا من الثديات في حين أنه يُخرِج طائر الكاسوري الذي يشبه النعام من دائرة الطيور وإن كان يبيض وله جناحان.. وهناك من يعتبر البامبو من الأعشاب، في الحين الذي يعتبره أخرون شجرةً لكبر حجمها، فالعلاقة ليست واحدةً في مواجهة علاقاتٍ متعددةٍ بل علاقاتٌ متعددةٌ بعلاقاتٍ متعددة.

ونحن نتفق كلية معه في هذا الأمر، فالخريطة الإدراكية لمعنى اللفظ تختلف من شعب لآخر، فقد تكون الحدود الجغرافية لموضوع لفظة ما ولمعناها شاسعةً واسعةً وتكون ضيقةً رقيقةً تكاد تنعدم في ثقافة شعب آخر، فألفاظ الخمر كانت لا تحصى لمَّا كان العربي يعاقرها في زمن جاهليته، إلا أنه نزل بمعوله على جدران معانيها وألفاظها دكًا لما قام بتكسير جراره من الخمر في زمن الإسلام دكًا، ونجد في المقابل في الإنجليزية و الفرنسية وغيرها من اللغات ما يصعب حده من معاني ومسميات هذه اللفظة لِما لها من جليل المكانة في ثقافتهم، الأمر الذي يجعل التماسك السياقي أولى من التمسك باللفظ و الشكل.

لكُل ذلك يرى نيدا **بأن المكافئ الديناميكي أولى من التو افق الشكلي**: (م س،22) ويعرف المكافئ الديناميكي بما يلي:

"Dynamic equivalence is therefore to be defined in terms of the degree to which the receptors of the message in the receptor language respond to it in substantially the same manner as the receptors in the source language. This response can never be identical, for the cultural and historical settings are too different, but there should be a high

degree of equivalence of response, or the translation will have failed to accomplish its purpose."

" لذلك فتعريف المكافئ الديناميكي لن يكون إلا في حدود استجابة قارئ النص المترجم أو النص الهدف، بحيث تكون مماثلة لاستجابة قارئ النص الأصلي بدرجة كبيرة. ولن تكون هذه الأستجابة متطابقة كلية أبدا، وذلك لاختلاف المعطيات الثقافية والتاريخية اختلافا شديدا، ولكن لا يمنع هذا من أن يكون هنالك درجة كبيرة من التكافئ بين الاستجابتين، وإلا حكمنا على الترجمة بفشلها في بلوغ مرادها" (م س،24).

في نقد وتقيم الترجمة لدى نيدا:

إنه يرى بأن المسار التقليدي لتقييم الترجمة يمكن أن يوضح في هذا الرسم البياني الآتي: (م س،22)

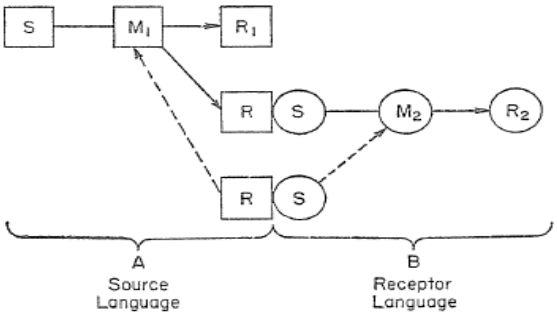

ويمثل المربع الأول S مؤلف النص الأصلي، وM1 نصه، و R1 قارئ النص الأصلي، وR مترجم النص وهو قارئ أيضا، و S الدائرة الأولى فَهمُ المترجم للنص الأصلي M1، و M2 هو النص المترجم، و R2 هو قارئ نص الترجمة، R داخل المربع أسفل المترجم هو الدارس الناقد الذي يدرس كلا النصين الأصلي والمترجم ليخرج بحكم على مدى أمانة الترجمة، وهو غالبا ما يكون دارسا ضليعا بكلتا اللغتين ومحيطا عليما بالنص الأصلي، وهنا ينتقد نيدا العملية النقدية الكلاسيكية قائلا: إن القارئ العامي ليس دارسا مُلمًا في مثل درجة الناقد لكي يفهم النص المترجم بنفس فهمه أو أن يعي مدى مصداقية النص المترجم، ولا الدارس أيضا سيعلم مدى فهم العامي للنص الأول وكيف ستكون ردة فعله، فقراءته حتما لن تكون مثل

قراءة العامة من الناس، فيتخذ بذلك حكما على درجة نجاح الترجمة في القيام بغرضها من الإفهام. وكما أسلفنا فمهمة الترجمة الأساسية لدى نيدا، والتي لولاها لكانت الترجمة "فاشلة"، هي تكافؤ فهم قارئ النص الهدف بفهم قارئ النص الأصلي، وبما أن العملية النقدية الكلاسيكية لا تخدم هذا الهدف، فقد وضع نيدا رسما بيانيا آخر يوضح فيه مبدأ المكافئ الديناميكي وامكانية نقده، نورده كالآتي: (م س،23)

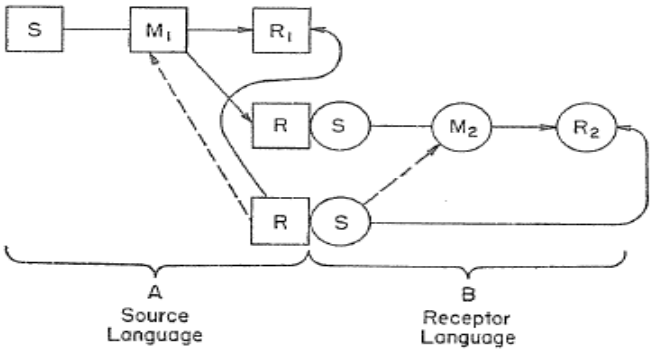

يمثل المربع الأول S مؤلف النص الأصلي، وM1نصه، و R1 قارئ النص الأصلي، وR مترجم النص وهو قارئ أيضا، و S الدائرة الأولى فهم المترجم للنص الأصلي M1، و M2 هو النص المترجم، و R2 هو قارئ نص الترجمة، وR داخل المربع السفلي تمثل الدارس الناقد الذي يدرس كلا النصين الأصلي والمترجم.

إلا أنه يضيف لهذا الشكل البياني سهمين بخط مستمر نحو القارئين، القارئ الأول والثاني، لأنهما الأصل خلال عملية النقد، فيحكم من خلال المقارنة بين فهمها على مدى فاعلية الترجمة، مع المقارنة بين النصين الأصلي والمترجم طبعا، ويظهر ذلك في الشكل بخط متقطع لأنهما أقل درجة في مسار النقد من فهم القارئين لنص.

إذا فبدلا من أن يكون نقد الترجمة التي يقوم بها دارس ضليع في كلتا اللغتين، ومحيطٌ حصيفٌ بالنص في اللغة المصدر، ومن خلال دراسته لكلا النصين الأصلي والمترجم ليبث حكمه في مدى أمانة النص المترجم، حري بهذا

الدارس الضليع أن يسأل القارئ العامي للنص الهدف عن مدى فهمه للنص المترجم فيقارنه بفهم القارء للنص المصدر ليبني حكمه آنئذ في مدى نجاعة الترجمة.

إذا، ففهم المتلقي لدى نيدا هو العملة الأساسية للحكم على قيمة الترجمة ونجاحها. لكن، أَوَ لا يختلف الفهم باختلاف المدارك والصور الإدراكية والتحيزات والمسلمات، وهو قبل كل ذلك أمر نسبي جدا؟

وكما أسلفنا ذكره من خلال ما سبق من ميزات النص الفكري وظروف نشأته وآليات تكوينه، والمبتغى الأساسي للمفكر منه، وهو توليد الفعل، لا إحداث الأثر فحسب. وإحداث الأثر المكافئ ذاته لا يكون بصياغة مؤنقة ولا بلغة أدبية مرونقة، بل يحدث بحمل النص المترجم لمورثات النص الأصلي، حتى يحبل فيُولِّد نفس الفعل، ولا يكون ذلك من عدم. وهو ما ننوه إليه في نظرية المكافئ الديناميكي، فلقد وصفت الإشكال واقترحت العلاج غير الكامل، دون أن توضح طريقة تطبيق العلاج. بل نجد قواعدها تتضارب فيما بينها في العديد من الأحيان، نذكر منها قاعدة إعادة الصياغة لتحقيق الأثر نفسه التي تتنافى مع قاعدة التنازل عن هوية النص الأصل وصبغته، فكيف يمكن حينئذ من تحقيق الأثر ذاته ومولدات الأثر والفعل غائبة

فهم المتلقين:

حقا، فيوجين نيدا يعترف باستحالة التطابق الجبري الهندسي لفهم شخصين مختلفين من نفس اللغة لكلمة واحدة:

"For no two people ever understand words in exactly the same manner, and we cannot expect a perfect match between languages." (م س،05)

"فلا يمكن أبدا لشخصين أن يفهما الكلمة ذاتها بنفس الشكل، ولا يمكننا أن نتوقع تطابق هندسيا بين اللغات".

فما بالك لو كانا من حاضنتين لغويتين مختلفتين، وماذا لو كان النص موجها أساسا لطبقة فكرية معينة من القراء، أو لا يغدو التبسيط والتفكيك إخلالا بمعادلة النص أساسا وبمخرجاتها تبعا؟ فتغدو المقارنة حينها بين المتلقين

أكبر من مستحيلة؟ لدى فالقول بمقارنة فهم المتلقين للنص بين اللغتين لتحديد مدى صحة الترجمة أمر نسبي جدا، عندما يتغير مستوى التلقي من فئة إلى أخرى استجابة لرغبة المترجم التصرف في نص المؤلف، والمساس بأسس النص الفكرية، فماذا لو حبذ المؤلف قصر نصه على فئة معينة من القراء لخصوصية فيه أو خوفا منه من انزلاقات قد تنجر عن الفهم الخاطئ للقارئ العامي الذي لا تشمله خصوصية النص؟ مثل بعض النصوص التاريخية والدينية والفلسفية الحرجة وغيرها.

بين المترجم والمؤلف:

ويرى نيدا بأنه حري بالمترجم أن لا يسبق المؤلف في فهمه لنصه الأصلي ولا أن يفهمه أكثر منه: وقد يبدو هذا العنوان بادئ الأمر من الواضح في الدين بالضرورة، فكيف لمترجم أن يفهم نص مؤلف أكثر منه؟ وهو يقول:

"The translator must attempt to reproduce the meaning of a passage as""understood by the writer.(05،م س) "

"يجب على المترجم أن يعيد إنتاج مفهوم النص مثلما فهمه المؤلف تماما"

لكنه يشير بأن الأمر أعمق مما قد يبدو عليه من الوهلة الأولى، وهو محق في ذلك كل الحق، فإذا ما واجه المترجم بعض الغموض في النص فلا يجب عليه أن يعود إلى الأصل إن كان هنالك أصل استنبط منه المؤلف نصه أو كان مرجعا له، بل يجب عليه أن يلتزم بالمعنى الواضح الأول الذي صرح به المؤلف، بدعوى أنه في هذه الحال وفي عودته للأصل فهو يحاول أن يفهم كتاب المؤلف أكثر من المؤلف نفسه، وأن عودته للأصل ستفتح عليه أبوابا من الشك والتناقضات هو ليس أهلا لها ولا طاقة له بصدها وهو في غنى عنها، يقول في ذلك:

"..Some persons insist that in translating the Greek of the New Testament one must go back to the Aramaic. But the translator is bound to ask himself: What was it that Luke, writing in his day, understood by the Greek that used? If we are to make a faithful translation of Luke's Gospel, this is what must be our viewpoint. Otherwise, we will not only be involved in interminable controversy, but we will inevitably tend toward unwarranted harmonization."

"يصر بعض الناس على العودة إلى الأصل الأرامي حينما يترجمون النسخة الإغريقية من العهد الجديد. بل حري بالمترجم أن يتساءل: ما الذي فهمه لوقا من النص الإغريقي حين كتابته في ذلك العهد؟ وإذا كنا لنقوم بترجمة أمينة لإنجيل لوقا فستكون هذه حتما نضرتنا وهدفنا، وإلا فلن نرمي بأنفسنا إلى أحضان التناقض والجدل الأبدي فحسب، بل سنُدفَع إلى التلفيق والتوفيق المكروه المحتوم دفعا.." (م س،08).

إذا، يجب أن يجزم المترجم بأن النص واضح وضوح الشمس في وضح النهار وأن المؤلف صادق بريء لا يبتغي الإبهام والغموض أبدا، وفي حال ما واجه بعضا منه فليترجم ما اتضح منه دون العودة للأصل. ونستشف من كل هذا رغبة في الحجر على المترجم وحجزه بعيدا من أسباب التأليف الأولى وتحييز عمله في إيجاد المكافئ الواضح بكيفية واضحة في اللغة الهدف فقط، دون طرح العديد من الأسئلة حول الأصل، ولا يجوز له الجرح والتعديل والتحقق من الأمور بل يترجم ما لامس السطح من المعنى أما ما عاداه فلا. وفي هذا تناقض مع الأصل الأول الذي يدعو المترجم إلى إعادة الصياغة بنفسية المؤلف، وله كل ما للمؤلف من الحقوق. ثم يحجر عليه فجأة إعمال العقل في ما قد لا يتفق وإدراكه.

تطبيق هذه العلاقة بين المؤلف والمترجم على آلية ترجمة النص الفكري:

إنه يصرح بأن المترجم لا يجوز أن يسبق المؤلف أو أن يفوته في فهمه للغته، (م س،10) فكيف يمكن للمترجم إذا من صياغة نص من الجينات الوراثية نفسها للنص الأصلي ما لم يخصب فكره بمخصِبات فكر المؤلف ذاتها؟ بل لا يجوز للمترجم أن يتخذ قرارا عوضا عن المؤلف مالم يكن ملما **بمولدات النص** الأصلي، وأن يشارك المؤلف الأصلي **نسقه المعرفي** كي يتمكن من **توليد محركات الفعل** في نسخته المترجمة، فيغدو بذلك **مؤلفا** حرا لبيبا نزيها، لا مترجما نزقا متطفلا عجولا، فلا هو يحقق الهدف من تأليف النص الأصلي ولا هو يتمكن من فهمه لسياقاته أصلا قبل نقله وإفهامه، ولن يتكمن أيضا من **توليد الأثر الفعلي والمعنوي** للقارئ ما لم يندرج ضمن إطار النسق الفكري والفلسفي والعقدي

للمؤلف أو على الأقل يحيط بتلافيفه علما ويكون لدقائقه وتعرجاته عليما، فيتمكن من صوغ نص على شاكلة النص الأول.

ونعرج هنا إلى المغبة الأخلاقية فيتصرف المترجم هذا إنزل فهم عوام الناس لسببه، لَمَّا يتجرأ على ما ليس أهلا له، فتُغويه متَلبيسات النسخة المترجمة وتُضلهم، وتحملهم على فعلٍ غير الفعل الذي أريد لهم في النص الأصلي، فيكون بذلك الوحيد الذي يتحمل المسؤولية بمكيالين، مرة لتجرئه على ما ليس أهلا له، ومرة لكونه سببا في تضليل الناس عن الجادة والصواب.

إن مربط الفرس من هذه الدراسة والنقطة الأساسية التي آخذ بها دارسو اللاهوت نيدا أخذا شديدا، أن المترجم الذي لم تحمل به أرحام الكنيسة ولا هو خرج من أصلابها، لا يمكنه أن يشعر بمسؤولية بر الابن لأمه الرؤوم، ولا أن يتحدث لغتها أو أن يصطبغ بصبغتها، بل تجده يتحرر من تبعاتها ويعمل وفق أجندات يؤمن بها هو، قد تتعارض في صلبها مع كنه رسالة الكنيسة وقد يثور ضدها أيضا غفلة أو علما. وهو الحال كذلك مع النص الفكري. إذ يجب أن يندرج المترجم ضمن الهيكل المعرفي للمؤلف وتحت سقف نسقه المعرفي، وأن يلم بهندسته وبنائه إلماما واسعا كيما يتمكن من تحقيق الأثر والفعل المرجو من نصه.

في القول والتلقي والفهم والإفهام:

يقول نيدا بأن كل ما يمكن قوله في لغة ما يمكن قوله في لغة أخرى. حقا، لكن هل كل ما يفهم في لغة ما يمكن فهمه في لغة أخرى؟ وهل كل ما يقال يمكن فهمه أو بالأحرى يجب فهمه؟

"Everything said in a language can be said in another, unless the form is an essential element of the message."

"كلما يقال في لغة ما يمكن أن يقال في لغة أخرى، إلا إذا كان الشكل عاملا أساسيا في تشكيل الرسالة" (م س،04).

إن إشكال الفهم هو الأمر الذي أرَّق العلماء وقضَّ مضجعهم، فاهتموا لذلك بتحديد آليات القول وسُبلها، حتى تُمكن من الفهم المرجو من هذا القول وحتى تتحقق فاعلية القراءة. فالفهم يسبق القول وجوديا و أهميةً ويربو عليه

ويزيد. وفي هذا إشارة إلى الإشكال الفلسفي حول أهمية المدلول على الدال وأحقية الشيء على المشير إلى الشيء والدال عليه. وما يهمنا في هذا الأمر في ما يتعلق بالترجمة هو التفكير في الخطوات المنهجية المحكمة، والسبل التعبيرية المثلى، والأطر اللغوية الأنسب، لتحييز الفهم وتحديد المفهوم كي لا يضيع بين الكلمات أو ينسلت بين السياقات، حتى يحدث الأثر ويُوَلّد الفعل. وهو الأمر المختلف الذي نتعرض إليه من خلال هذه الدراسة.

الخاتمة:

بعد النقد والتحليل، نشير إلى أن هذه النظرية تقترب من خصائص النص الفكري في نقاط عديدة، منها نقطة إحداث الأثر المكافئ، على العكس من النظريات الترجمية الأخرى، الوظيفية منها والوصفية وغيرها، وإن كانت كما أسلفنا لا تتفق معها في الخلفية الفلسفية الفكرية أبدا، فطبيعة الكلمة وعلاقة الدال بالمدلول ومدى صدق الكلمة ومدى نقلها للحقيقة، وغيرها من المفاهيم الفلسفية الراسخة التي ننطلق منها في صياغة هيكل نظري للترجمة عموما ولترجمة النص الفكري خصوصا، تجعل منتهياتنا النظرية مختلفة جدا. فنخرج من هذه الورقة بالتوصيات التالية:

1- لا تخلو النظريات العلمية، مهما كان نوعها، عن التحيزات باختلاف أشكالها، لدى حري بالباحث في نظريات الترجمة أو حتى المترجم أن ينطلق في بحثه بالنظر في الخلفية الفكرية والعقدية للنظرية ولواضعها، وأن يتتبع تحيزاته عبر ثنايا أعماله وتطبيقات نظريته، فإن لم يستطع فعليه أن يسلم بتواجدها. فهي التي تحدد توجهات البحث وهيكله الداخلي، وتصبغ البحث بصبغتها.

2- نظرية المكافئ الديناميكي ليوجين نيدا Eugene A. NIDA نظرية راسخة في تحيزات صاحبها، ولها كل الأثر على ترجمات الأناجيل بما يخدم توجهات وأجندات واضعها.

3- ساهمت هذه النظرية بشكل كبير على الدراسات الترجمية بشكل إيجابي، وأبدعت لما سلطت الضوء على تحقيق الأثر المكافئ على القارئ وجعلته معيارا لنجاح الترجمة، ومعيارا لنقدها.

4- قد يمكن تطبيق قواعد هذه النظرية على نصوص مختلفة، أما فيما يخص النص الفكري، فيمكن التفكير في مقاربة ترجمية أشمل لخصائص هذا النص.

5- تفتح هذه الدراسة الباب واسعا لمراجعة المفاهيم الفلسفية الأساسية، التي تدخل في تركيب مفهوم الترجمة. وهي دعوة للاستمرار في البحث نظريا وتطبيقيا في ميدان ترجمة النص الفكري.

6- وهي دعوة للجامعات ومعاهد التكوين في الترجمة، في بناء برامج تكوينية في ميدان ترجمة النصوص الفكرية، لما للمجتمع من حاجة ماسة إليها.

هوامش:

1. ينظر في مفهوم التحيز لدى عبد الوهاب المسيري في كتاباته العديدة من بينها،كتاب اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود (2002، 196).

2. محمد بابا عمي: في جوابه في مراسلة حول مفهوم الفكر بتاريخ 2017/12/20.

3. يذكر الأستاذ باباعمي أن المجال الذي ولدت فيه مفاهيم مثل "الثورة المعرفية"، و"سؤال الأزمة"، و"تحوُّل النموذج"، وغيرها، هو مجال العلوم الوضعية الطبيعية التجريبية، بالخصوص في الفزياء والكسمولوجيا، بيد أن سؤال الأزمة في الفكر له خصائص أخرى..، ينظر في مقال الأستاذ "حركية الفكر والفعل في الفهم الخلدوني"، نشر موقع فيكوس، 03-2013.

4. يقول ميكائيل مارلو Michael Marlowe في كتابه: نقد نظرية المكافئ الديناميكي، على مترجم الكتاب المقدس أن يعي بأن الإنجيل هبة للكنيسة وهو ملك لها.

5. ما هذا إلا قول من انتقد هذه النظرية الترجمية ونتاجها وعارض أفكارها العقدية ومناهجها، من الكنسيين المسيحيين أو المحافظين من الدارسين للاهوت وغيره، وليس بقولنا، ينظر في الكتاب السالف الذكر.

مكتبة البحث:

1. القرآن الكريم.

2. ابن منظور: لسان العرب، ج5/ ص65.

3. آلِكفِشَر: التفكير الناقد، تعر ياسر العيتي، السيد للنشر، 1430ه، 2008، ص17.

4. بسمة الدجاني، وفاطمة العمري: أحمد صدقي الدجاني: نموذج لمفكر وأديب عربي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم (العلوم الانساني)، مجلد25 (6)، 2011.

5. جمال محمد جهاد: مهارات التفكير الابداعي، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، 2004.

6. المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التّعاريف، عالم الكتب 38، عبد الخالق ثروت، القاهرة، 1990، ص563.

7. فهد بن عبد الرحمن الشميمري: التربية الإعلامية، (كيف نتعامل مع الإعلام؟)،مكتبة الملك فهد الوطنية،PDF، ص149/147.

8. عبد الرزاق قسوم: مدارس الفكر العربي الإسلامي (تأملات في المنطق والمصب) ط1، دار عالم الكتب العربية، السعودية، 1997.

9. عبد الوهاب المسيري، كتاب اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، ، دار الشروق، القاهرة، 2002، ص196.

10. LEFEVEREA, 1992, **Translation/ History/ Culture, a source book**, Routledge, London.

11. Nida E. A., 2003, **Fascinated by Languages**, John Benjamin Publishing Company, Philadelphia. USA.

12. Nida E. A, Charles R.T., 1982, **The Theory and Practice of Translation**, E. J. BRILL, Leiden.

13. قاموس المعاني، لكل رسم معنى www.almaany.com

14. عبد الكريم بكار: في مداخلة على موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك، ديسمبر 29، 2012، 6:27pm.

15. محمد بابا عمي "حركية الفكر والفعل في الفهم الخلدوني"، مقال -فييكوس-، 03-2013.

16. محمد بابا عمي: "مقدمات في نظرية الوعاء الحضاري"، مقال -فييكوس- 03-01-2011(4).

17. محمد بابا عمي: في جوابه في مراسلة حول مفهوم الفكر بتاريخ 2017/12/20. (1).

18. Michael Marlowe: Against the Theory of 'Dynamic Equivalence, http://www.bible-researcher.com/translation-methods.html.03/02/2018